النشاط الثقافي في الوطن العربي

بعد المعركة

لمراسل « الآداب » رجاء النقاش

يقف المجتمع المصري في طليعة عام ١٩٥٧ معبأ القوى والمشاعر بشكل واضح قوي ، فلقد كان العام الماضي مليئاً بالتجارب الحاسمة والأحداث الرئيسية ، ولم تكن هذه التجارب والأحداث قاصرة على فئة معينة من فئات المجتمع ، بل كانت شاملة عامة بصورة واضحة لم يسبق لها مثيل ، ولم يكن هذا الشمول قاصراً على التقريب والتوحيد بين فئات المجتمع وحسب ، بل امتد إلى القوى التي تعمل في حياة المجتمع ومن أبرزها قوتان فعالتان هما : الفكر والعمل ، لقد تقاربت هاتان القوتان إلى درجة التوحد وكان أكبر مظهر لهذا التقارب ما كان واضحاً أثناء المعركة من أن الشباب الجامعي كان في طليعة المشتركين اشتراكاً فعلياً في الدفاع عن وطنهم وتاريخهم ضد عدو ظالم مغامر .

خرج المجتمع موحداً بفئاته المختلفة وقواه المتعددة من تجاربه الحاسمة التي بدأت على صورتها الواضحة القوية منذ اعلان تأميم شركة قنال السويس في يوليه سنة ١٩٥٦ ، منذ ذلك اليوم والمجتمع كله يحس أنه يواجه مصائره الكبرى في صراحة ووضوح ، فما كان لجرح أن يختفي بين ركام المغالطة والاهمال ، ولا كان لعدو أن يلبس ثياب الأصدقاء فنلقاه بالترحيب والود ونخفي إحساسنا به وبما ينتوى أن يثيره في حياتنا من مصاعب ، ولا كان لصديق أن يمد يده في سلام فنرفضها خشية أوهام طالما أقلقتنا وملأت حياتنا بالخوف والتردد .

وعندما نحدد نقطة الانطلاق التي بدأ منها المجتمع المصري في مرحلته الأخيرة نستطيع أن نحدد وظيفة التعبئة الشعورية والفكرية والعملية ، هذه التعبئة التي تمثل الحالة التي يواجه بها مجتمعنا الحياة في طليعة العام الجديد ، وفي مثل هذه المرحلة التي نمر بها وأمام هذه التجارب التي نعيشها ، يصبح من المستحيل بل والخطأ أن نعمل على تتبع الحركة الثقافية في معزل عن الحركات الرئيسية الأخرى التي تتفاعل بها الحياة ، فالموقف الذي نقفه اليوم على مسرح التاريخ هو موقف الاستعداد والتهيؤ للانتقال من مرحلة حضارية إلى مرحلة أخرى جديدة ، ونحن نستعين بكل قوانا ومن بينها الثقافة لكي تساهم في اتمام هذه النقلة الضرورية الحاسمة ، وليس هناك من هدف آخر غير قضيتنا الرئيسية ، كل شيء مرتبط بها منظور اليه من زاويتها . وعندما يتم لنا الانتقال إلى مرحلتنا الحضارية الجديدة ونستقر على شاطئها العاري الواعد الذي يتطلب التحديد والامتلاء ، نستطيع يومها أن نتحدث عن الثقافة أو غيرها من قوى الحياة بانفصال وتخصص نسبي . فالوظيفة الرئيسية لهذه الدراسة السريعة هي تحديد المنابع الرئيسية والجديدة التي تستمد منها عمليات حياتنا امتدادها واستمرارها . والثقافة من بين هذه العمليات . ونحن نعني على وجه الخصوص تلك المنابع التي اتضحت خلال العام الماضي ، فالسؤال الآن هو : من اين بدأ المجتمع المصري حركته الأخيرة . من أي نقطة في الشعور والوعي والحضارة ؟ وعلى ضوء الإجابة يمكننا أن نوضح لأنفسنا دعائم الجديد الذي نعمل على بنائه وننشد الحياة في ظلاله .

وعلى الفور ، نستطيع أن نقول إن حركتنا الجديدة في الحياة تبتدئ من تخلفنا الحضاري الشامل وشعورنا بهذا التخلف . لقد كانت الثورات التي قامت في مصر منذ أيام عرابي في أواخر القرن الماضي الى اليوم تبتدئ من نفس البداية ، كانت هذه الثورات تنبعث من الإحساس بضرورة تغيير الحياة وضرورة إقامة بناء جديد للمجتمع يتلاءم مع مصالح غالبية أبنائه لا مع المصالح غير المشروعة لفئات قليلة في هذا المجتمع أو لقوى دخيلة عليه . وكانت الثورات السابقة لموقفنا الراهن تصطدم في موجاتها الأولى بعقبة عنيفة هي الاستعمار والمصالح الناشئة حوله والتي تحتمي به ، وكانت القوى غير متكافئة وبخاصة في المستوى المادي ، ولذلك ارتطمت ثورة عرابي بتلك العقبة الكبرى وانتهى بها الأمر الى الفشل في تحقيق ما قامت من أجله ، ودخول الانجليز مصر سنة ١٨٨٢ . وعلى نفس العقبة الهائلة صفيت ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٣٠ وثورة ١٩٤٦ . وتتفاوت هذه الثورات في قيمتها التاريخية بالطبع ، ولكنها تتفق كلها في أن نتائجها كانت أقل من طموح الشعب الذي بذل فيها الدم والجهد ، كانت كل هذه الثورات ترتطم بالاستعمار وأتباعه ، ومن هنا اتسمت بصفة رئيسية مشتركة هي أنها لم تكن ثورات شاملة ترسم خططاً لبناء المجتمع وتقدم مفاهيم جديدة للحياة في الفكر والعمل والعلاقات الاجتماعية بل كانت كلها قاصرة على جانب واحد هو مقاومة الاستعمار العسكري وما ينتج عنه ويسانده من قوى مباشرة في الداخل .

من هذه المقارنة السريعة نستنتج أن شعورنا بالتخلف هو شعور عريق منذ مطالع هذا القرن وقبله ، وقد كان هو الدافع الأساسي للثورات المختلفة التي قامت منذ عرابي حتى اليوم . ولكن الواضح هو أن الثورات السابقة لم يتح لها أن تفكر تفكيراً شاملا في تنظيم المجتمع تنظيماً يساعده على التطور والتغلب على تخلفه وتأخره . فما كان أشبه هذه الثورات بصاحب البيت الذي يعمل على اخراج ساكن متسلط معتد من بيته ، ويشغله هذا الساكن عن التفكير في تنظيم حجرات البيت لخلق الاستقرار والهدوء والاستثمار الخاص لامكانيات البيت الحقيقي المنشود .

أما حركتنا الجديدة فقد بدأت بداية شاملة بعد أن ساهمت الموجات الثورية السابقة في تصفية الاستعمار العسكري والقضاء عليه . لقد أخذت القوى الاجتماعية المتفرقة تتآزر وتتركز في سبيل العمل على خلق الحركة الجديدة الشاملة التي تعنى بفهم الحياة فهماً عاماً لا فهماً جانبياً يتركز في اتجاه واحد . ومن الواجب أن نشير هنا إلى نقطة هامة لا يمكن دراستها الآن دراسة كاملة ولا يمكن اغفالها كذلك ، تلك هي أن العلاقة بين الحكومة القائمة في مصر وبين الشعب لم تسر في اتجاه واحد منذ اللحظة الأولى ، فقد كان هناك في البداية تأييد شامل ، تبعة نفور وتردد انتهى إلى التقاء واضح وتعاون سليم ، وأهمية هذه النقطة تتركز في أنها تبرز أن الاتجاه الثوري الشامل في فهم الحياة وتغيير المجتمع والذي يطبع النظام القائم في مصر ليس وليد طرف واحد هو الحكومة ، بل هو في حقيقته وليد الالتقاء الشامل بين الحكومة والشعب الى حد بعيد ، ذلك الالتقاء الذي تم عن طريق احتضان الحكومة لأهداف الشعب . من هنا نتبين أن في مصر الآن محاولة ثورية شاملة صنعها الشعب وسهرت على خدمتها

مصر

النشاط الثقافي في الوطن العربي

وتطويرها حكومة أخلصت في التجارب التي خاضتها لما يطلبه الشعب ويهدف الى تحقيقه .

في هذه الثورة الجديدة التي نعيش فيها ابتدأنا نواجه مشكلتنا كشعب متخلف ، ولكن ثورتنا الجديدة اختلفت عن الثورات السابقة في أنها كانت ثورة شاملة لشتى الأسس والاتجاهات في بناء المجتمع إذ لم تتحدد أهدافها بالقضاء على الاستعمار بل شملت تلك الأهداف محاولة تغيير حضارتنا من الناحية المادية والفكرية بشكل أساسي يتيح لنا الوصول إلى نمط جديد سليم من الحياة .

فنحن شعب يمارس الحياة في ظروف قاسية مهينة ، ولا يمكن لهذا الشعب أن ينتظر مستقبلا مغايرا لحاضره إذا ما ظلت هذه الظروف العنيفة مسيطرة على قواه المختلفة مقيدة لامكانياته البشرية تقييداً مدمراً .. من هذه النقطة تبدأ ثورتنا الجديدة ، وعلى ضوء تلك الحقيقة تقرر هذه الثورة عدداً من المبادئ الأساسية التي كشفت الممارسة التجريبية عن خطرها وأهميتها كمنابع تستمد منها قوى الحياة – من فكر وعمل – كل وجودها .

هل نحن شعب متخلف بطبيعته ؟

هذا هو السؤال الذي كان على ثورتنا الجديدة أن تجيب عليه بعد أن قررت مواجهة المصير الذي تعيشه ، وهو التخلف والتأخر ، في صراحة ، ولابد أن تحدد الإجابة عن هذا السؤال أشياء هامة فيما يتصل بأسلوب التغيير والبناء الذي يتطلبه حقيقة وضعنا المتخلف الراهن . كما أن هذا السؤال ينتج بشكل طبيعي عن الخطر الذي أشاعه أعداؤنا في صفوفنا .. خطر انعدام الثقة اللازمة بالذات ، وإذا كانت هذه الثقة لازمة للذات الفردية ، فان ضرورتها تتضاعف بدرجات كبيرة بالنسبة للوجود الجماعي ، فان انعدام ثقة الجماعة بنفسها يمثل خطراً أساسياً يهددها بالانقراض والتلاشي والعدم .

وليس لنا أن نجيب على هذا السؤال إجابة مفتعلة ، فان افتعال حقيقة في صالحنا لهو أخطر بكثير من وجود حقيقة فعلية ضدنا .. وكانت إجابة ثورتنا الجديدة على هذا السؤال هي أننا لسنا متخلفين بطبيعتنا ، واعتمدت هذه الاجابة على أسس رئيسية هامة من أولها ما قام به علماء الانسانية من مناقشة معروفة لقضية تفوق الاجناس والسلالات وما وصل إليه هؤلاء العلماء من أن الإنسان إنما يدفعه الى التقدم والتفوق ظروف بعضها من صنعه وبعضها الآخر من صنع الطبيعة أو غيرها من القوى ، ومن هذه الأدلة ما قدمته تجارب الحياة العصرية ممثلا في بعض الشعوب التي كانت مغرقة في التخلف ، وأصبحت الآن في الصفوف الأولى من حضارة الإنسان ، وعلى رأس هذه الشعوب : اليابان والصينيون . ومن هذه الأدلة أيضاً تاريخنا نحن ، فلم يكن المصريون أو غيرهم من العرب بذوى الجهد المغمور في تاريخ البشرية : لقد كان جهدهم بارزاً واضحاً حتى لقد كانوا ذات يوم طليعة الأمم والشعوب والحضارات . أما امكانياتنا المادية فهي ثروة واضحة معروفة .

إذن فنحن متخلفون حقاً ، ولكن هذا التخلف ليس عنصراً جوهرياً لا يمكن تغييره في طبيعتنا ، ولكنها ظروف فرضت علينا حيناً من الزمن واستسلمنا لها مرغمين في كثير من الأحيان ، ونحن اليوم نريد أن نعيها ونغيرها ونمنع الغرباء من أن يفرضوها علينا لمصالحهم ، ولذلك الجانب غير الانساني من هذه المصالح والذي لا يراعي أي مبادئ أو قيم .

وبدأنا نعي ، وعرفنا أن الاستعمار يقيد شخصيتنا ، يريدها أن تظل تابعة ذليلة ، لا تعرف قيمتها في التاريخ فتستمد من هذه القيمة ثقة ووعياً ، ولا تعرف امكانياتها في الحاضر ، فتظل كل قواها موجهة لخدمة المستعمر وشركاته ومصالحه الكبرى ، وكان لابد في مواجهة هذه المشكلة من اختيار أحد طريقين : إما أن ننحرف في التماس حلول يرتضيها المستعمر وتحفظ له مصالحه غير المشروعة أو أن نواجه هذا المستعمر مواجهة صريحة نتحمل فيها أعباء حقيقية هي الثمن الذي ينبغي أن ندفعه لكي نصل الى شخصية قادرة ذات إرادة . واختار الشعب منذ البدء الطريق الثاني ودخل مع الاستعمار في معارك متعددة كان أروعها تلك المعركة الأخيرة التي دارت على أرض مصر ، ففي هذه المعركة كشف المستعمر بوضوح عن خططه ووقفنا نحن مصممين على أن ننتهي من عقبة الاستعمار التي تعمل على تعطيل كل حركة في الفكر والحياة ، تعمل على تجميد شخصيتنا ووضعها في أسوأ الظروف حتى تذبل وتتلاشى .

ولم نكن نواجه فحسب عدواناً عسكرياً بل كنا نكتشف أيضاً بعض القيم الكبرى التي ينبغي أن تعتمد عليها دعائم حياتنا الجديدة . ففي جانب القيمة الأولى وهي ضرورة الاستقلال مهما كان ثمن ذلك من الدم والجهد وضرورة التخلص من ضغط الاستعمار أو إتاحة الفرصة له ، وضرورة الشك في القوى التي يعتمد عليها الاستعمار شكاً شاملا .. إلى جانب هذا الموقف من الاستعمار كانت هناك قيمة أخرى تبلورت في فكرة القومية العربية ، هذه الفكرة التي خرجت من التجربة الأخيرة وقد تضاعفت قوتها وازدادت وضوحاً وأصالة ، إنها حقاً لم تزل فكرة تعترضها كثير من العقبات ، ولكنها اكتسبت في التجربة الأخيرة عناصر تمكنها من مواجهة تلك العقبات بصلابة وشمول ، على أن الذي نريد أن نشير اليه هو أن القومية العربية بناء تقيمه ارادتنا معتمدة على البذور الموجودة في الواقع . وليست هذه الفكرة الكبيرة فكرة تلقائية يمكن أن تولد بلا صراع أو جهد ، فلقد استطاع الاستعمار أن ينشر فلسفة العزلة في بعض البيئات العربية ، ونذكر منها ما يخص مشكلة العلاقة بين مصر والسودان ، ومايريد المستعمر أن يخلقه الآن في اليمن والمحميات من تأكيد لتجزئة خاطئة وخلق لتجزئات جديدة مفتعلة . ولاشك أن لفلسفة العزلة هذه تاريخاً طويلا في وطننا العربي ، ولها نتائجها الايجابية العديدة مما يؤكد أن ارتباط القومية العربية بعامل الأرادة هو ارتباط قوى ؛ فلا بد أن تبذل جهود للتوحيد في شتى المجالات وفي نفس الوقت .. في الثقافة والسياسة والاقتصاد ، على أن تعي هذه الجهود الارادية أنها مواجهة بجهود إرادية أخرى للقضاء على فكرة القومية العربية . ومن أبرز نتائج هذه الجهود المعادية : اسرائيل ، إنها الخطر المباشر الذي يعمل للقضاء على شخصيتنا العربية ويطالبنا بمزيد من الاتحاد والتماسك وابراز خصائصنا المشتركة وتنميتها بحيث تستعصي على الفناء والضياع بل وحتى تستطيع أن تكون العامل الرئيسي في توجيه مستقبل اسرائيل نفسها .. إذن ففكرة القومية العربية التي سوف نخلقها بارادتنا وجهدنا معتمدين على البذور الموجودة بالفعل ، هذه الفكرة هي دون شك من الأفكار التي أبرزتها التجربة الأخيرة وعمقتها كعنصر أساسي وعامل فعال في خلق شخصيتنا الجديدة القوية القادرة على أن تعيش حياتها ، وتتحمل مسئولية وجودها ، وتتغلب على الأخطار التي تواجهها .. وبتعبير آخر تستطيع أن « تملأ الفراغ » الذي

النشاط الثقافي في الوطن العربي

جد عندما اضطر الاستعمار أن ينسحب بعيداً من مسرح حياتنا بعد أن ظل يضغط على شخصيتنا زمناً طويلا جعل منا غرباء في أرضنا لا نستطيع أن نستفيد من امكانيات عالمنا في الطبيعة والانسان .. تلك الامكانيات التي يعتمد عليها في كثير من مؤسساته ومظاهر حضارته.

نستطيع إذن أن نجمل النتائج الرئيسية للمعركة في أننا قد بدأنا نعي تخلفنا ونعرف أسبابه الحقيقية ، وأن الاستعمار يحاربنا في قوتنا ومساكننا ومشاعرنا وأفكارنا ، بل وفي أبسط مصائرنا اليومية، وأن المسألة ليست مسألة احتلال عسكري للأرض بل هي أبعد من ذلك إلى مدى واسع ، وأنه لابد من مواجهة هذه الظاهرة القاتلة ، ظاهرة الاستعمار ، مواجهة صريحة عنيفة مهما تحملنا من مشقة وجهد ، إذ أننا لا نستطيع أن نخطو خطوة ما ونحن في قبضة الاستعمار بمظاهره وأساليبه المعقدة ، وأن القومية العربية فكرة لها بذور حقيقية زادتها وضوحاً ويقيناً ، وأن هذه الفكرة تحتاج إلى الجهد الأرادي لكي تحقق نتائجها المنشودة . فالقومية ظاهرة اجتماعية ينميها الجهد والعمل ويقضي عليها التراخي والخطأ في الفهم والادراك . إن القومية العربية ظاهرة يمكن أن تتلاشى لو استسلمنا للجهود الخطرة التي تبذل في سبيل القضاء عليها وانقراضها وعلى رأس هذه الجهود تلك النزعة اللاإنسانية التي تتمثل في اسرائيل .

هذه النتائج هي القيم والمبادئ الأساسية التي تتحرك حياتنا على أساسها في شتى الاتجاهات ، وعلى رأسها الاتجاه الثقافي ، وهي قيم ومبادئ استقرت في الوعي أكثر من استقرارها في الواقع ، بل إن استقرارها الواقعي لا زال في حاجة إلى جهود كبيرة متواصلة ،فعلى مدار هذا الاستقرار سوف تتأثر الاتجاهات الحيوية المختلفة ، فليس هناك من تغيرات أساسية في حياتنا الثقافية والاقتصادية أو غير ذلك . فهذا التغير مرهون باستقرار المبادئ الاساسية الأولى له .. وهي تلك المبادئ التي تحدثنا عنها وكشفت لنا المعركة عن عناصرها وقواها المختلفة .. لا زال المجتمع المصري يعاني الفقر الشامل ، ولا زالت الثقافة المصرية تتفوق في ظواهرها الجزئية الفردية دون أن يكون هذا التفوق مظهراً عاماً بالنسبة لوعي الشعب والجماهير . وحسبنا أن نشير إلى ظاهر انتشار الأمية التي ما زالت تشيع بين نسبة كبيرة من أبناء مصر . وما زالت المناهج التربوية في المدارس والجامعات مضطربة غير مستقرة على أسس نهائية . وما زال الاضطراب النفسي والقلق يمزق أوساط المثقفين من الشباب حيث يعيشون حياة ليست متناسقة كتلك الأفكار والمفاهيم التي بدأ وعيهم يعتمد عليها. وما زال الارتباط بين الفكر والعمل قضية ليست ذات نتائج ايجابية في حياتنا العامة ، وإن كانت الأفكار التي تشيع الآن في الحياة الثقافية هي أقرب الأفكار إلى العمل والواقع ، على عكس تلك الأفكار التي شاعت في الماضي وما زالت تشيع في بعض البيئات والتي كانت نظرية مغرقة في البعد عن الواقع الإنساني ، معتمدة على خيال لا يرتكز على منطق أو ضابط .

كل هذه الظواهر في حياتنا الثقافية موجودة بوضوح ، فالمعركة لم تمتد بعد إلى الواقع ليتم فيه التغيير والتجديد . لقد غيرت هذه المعركة « خريطة » الواقع و « تخطيطه » النظري ، وعلى مثال « الخريطة » أو « التخطيط » سوف يبدأ التغيير والتعديل في الواقع ، والمرحلة الجديدة من التغيير ليست مرحلة هينة ، بل هي في حاجة الى جهد كبير وزمن طويل ، وليس من الطبيعي أن ننتظر النتائج المنشودة في سرعة وبلا تضحيات ، فلسوف تتم هذه النتائج بتضحيات قاسية وفي صبر طويل وبعد زمن لا يقل عن ذلك الزمن الذي نضج فيه « التخطيط » ،والذي بدأ بالنسبة لنا – في مرحلته الأخيرة –منذأيام عرابي وكلفنا الكثير من الدم والضحايا الغالية العزيزة . ولسوف نحاول في هذا المكان باستمرار أن نتابع التغير الذي تم في الظواهر الثقافية على ضوء القيم والافكار التي خرجنا بها من معاركنا الطويلة التي كان آخرها في التاريخ معركة بور سعيد .

هناك بعض الظواهر الفكرية التي لابد أن نشير اليها والتي برزت كخطوط واضحة في حركتنا الثقافية في الفترة الأخير . وليست هذه الظواهر هي التغيرات الجذرية التي ننشدها بل هي ظواهر جزئية لا تخلو من الدلالة والتبشير بواقعنا الجديد .

من أهم هذه الظواهر أن الكتاب – مخلصين وغير مخلصين – قد أخذوا يوجهون أفكارهم تجاه حياتنا ، فيدرسونها ويتتبعون ظواهرها بأساليبهم الخاصة،وقد أصبحت هذه الظاهرة عامة إلى حد بعيد ، ونستطيع أن نقدر خطرها عندما نعلم أن المفكر في مصر ، وفي مراحل سابقة – من حركتنا الثقافية ، كان يبذل جهوده في دراسة مشاكل في الغرب أو في الشرق دون أن يعنى بزاوية ارتباطها بنا، أو فائدتها لنا .

ومن هذه الظواهر أن بعض المؤسسات التي كانت تعمل على عرقلة حركتنا الثقافية وتسميمها بعناصر غريبة قاتلة ، قد سقطت على التقريب في محيط من تجاهل الجماهير القارئة ورفضها،وعلى رأس هذه المؤسسات مؤسسة فرانكلين . فقد انحسرت موجة هذه المؤسسة بشكل واضح بعد أن قامت بحركة مزعجة ضد ثقافتنا وحياتنا لفترة طويلة .

كذلك ظهر في الحياة الصحفية أسلوب جديد يحاول أن يستقر ويتأصل ، ذلك هو أسلوب الدراسة الجدية للمشاكل على عكس الفكرة التي أشاعها البعض عن ضرورة التبسط والسطحية والطرافة في العمل ، ويحمل لواء هذا التيار الجديد في الصحافة جريدة ناشئة ولدت في أحضان المعركة هي جريدة «المساء» .

استطاعت المعركة كذلك أن توجه حركة الترجمة إلى دراسة أهم موضوعين بالنسبة لنا أولها : الاستعمار ، وثانيهما : امكانياتنا المادية والنفسية . وقد كانت الترجمة قبل ذلك لوناً من الاختيار الفردي الذي لا يعتمد على أي توجيه ينبعث من ظروف المجتمع . ومثل هذه الظواهر الجزئية في الحياة الثقافية تحمل البذور الأولى لتغيير أساسي حاسم في مفاهيم المجتمع وأفكاره بين شتى الفئات الاجتماعية ، كما تعد بظهور أساليب جديدة في تنظيم المجتمع وبنائه بحيث يتلاءم مع المسئوليات الكبرى التي ينبغي عليه أن يحملها حتى يستطيع الإنسان أن يحس بقيمته الإنسانية على صورة أصح وأكثر توهجاً .

لم تكن المعركة الأخيرة سهلة ، ولن تكون المعارك القادمة خالية من التضحيات الغالية والمصاعب الكبيرة فلقد بدأنا نحمل عبئاً هائلا في سبيل تغيير الحياة التي تعاني مرارة تخلفها والإحساس الدائم بالأخطار التي تحيط بها وتهددها على الدوام .. وما أطول الطريق الجديد وما أعظمه في آن .

سوريا

لمراسل (الآداب) سعد صائب

كتب الاديب (احسان سركيس) في صحيفة «الطليعة» الاسبوعية، مقالا بعنوان « المعركة..والمفاهيم الادبية » عالج فيه معطيات المعركة التي تخوضها امتنا اليوم ، وكونها غدت منبعاً ثراً للون من الادب كنا الى امد قريب معرضين عنه فلم نستطع ابراز خصائصه او مراجعة تأثيره ، بالرغم من عمق دلالته ، وارتباطه الوثيق بوظيفة كتابنا ومسؤولياتهم حيال امتهم . ومما اورده الكاتب بهذا الصدد قوله : (لقد اصبحت هذه المعركة، الدليل الذي يرسم خطوات الكتاب والادباء في ميدان سمي فيما مضى واقعية والتزاماً . كان ذلك فكرة وكان موضع نقاش فاذا به اليوم ، يفصح بجلاء عن نفسه لمن كان بالأمس يتساءل عن هذه البدعة » ثم نراه يتحدث عن نظرتنا الحاطئة الى «الاديب الواقعي» باعتباره « يجافي مألوف الكتاب او جلهم » وحكمنا على الواقعية اذ كانت الواقعية بدعاً في النزعات الادبية ، اقل ما توصف به انها وافد مستجلب خملته موجة الافكار الاشتراكية ، له تربة خاصة صالحة يستنبت فيها ، ولا يمكن ان ينمو ويستقيم في تربة اخرى .. » ويخلص الى وصف حياتنا الادبية التي سادتها « نزعات ادبية لا عقلية شوهاء ، لا يستشف الناظر فيها ما يساوق الواقع او يدانيه..برق خلب لا يعقبه مزن.وكان طبيعياً أن توضع الواقعية الناشئة قبالتها ، وان يكون الالتزام ، الجواب الحتمي على الانقلاب المنعكس عن فوضى الحياة السياسية ، والاجتماعية نفسها . وكانت تلك النزعات تحتل مدارس لها كتابها الافذاذ . كتاب بارعون لا يقدح في كفائهم وعلو كعبهم ، ولكنهم يصدرون ، وقد يكون لهم عذرهم ، عن عالم لا يلامس حياة الناس » ثم يكشف لنا عن الحال التي انتهى اليها ادباؤنا ، ويظهر موقف بعضهم بالنسبة للاحداث التي المت بنا ، والتي سبقت المعركة فيقول : « ولا غرابة في أن الاحداث التي سبقت المعركة الكبرى، عرت الكثيرين من هؤلاء مما لصق بهم، فبعضهم بدا وكأن لا غمل له ، وآخر اكتفى بثم الاتجاه الجديد وتجريحه ، وثالث راح يلوك موضوعات عاش فيها ردحاً طويلا من الزمن . وبجانب هؤلاء ، فتح نفر كثير عينيه على الدنيا ، ونظر اليها بعينين جديدتين ، فادرك واجبه في ان يتخطى نفسه ليكون ومستلزمات العصر على موعد » ثم ينزع الى توضيح الفرق بين تلك النزعات التي سادت ادبنا ، وبين الواقعية التي اخذت تسري على اقلام ادبائنا ، بعد ان تم احساسهم بضرورة الأخذ بها فيقول : « الفرق بين تلك النزعات وبين الواقعية ، هو ان تلك النزعات كانت خاتمة ونهاية ، ولم تكن الواقعية الا انطلاقاً يقتضي زمناً ، واصطفاء مواهب عديدة، ولكن الزمن ، وهو حليف امين لمن يعمل معه ، كان في صالح الواقعية ، فاستبان نتيجة لضغط الأحداث » ثم يطلعنا على الفرق بين الملتزم وغير الملتزم مؤكداً ان الفرق بينهما « ليس القسر يملى على الملتزم والعمى عن الرؤية من خلال زاوية بعينها ، وانما التماس الموضوعات ، فمن الموضوعات ما يمس حياة اكبر عدد من الناس ، ومنها مالا يجاوز حياة الفرد الواحد ونزواته ، وهي مهما سمت وايا كان وضعها، لا تستطيع ان تجاري او تسامت الموضوعات الأخرى ، التي تعكسها حياة اكثر الناس » ويختم مقاله قائلا : « واليوم ، والمعركة المقدسة في اوجها ، تنطق وتلهم ، والفرح الغامر يملأ وطننا العربي بنباشير الخلاص تبدو اشراقة الواقعية ، كالمنارة الهادية ، يحف بها الاتباع والمريدون ، ويبدو ما يسمى بالالتزام وكأنه الأمر اليومي ، تصدره قيادة المعركة ، فيحس به كل كاتب احساساً عفوياً يأتيه من نفسه ، لانه خرج من نطاق تأمل الواقع الى المشاركة فيه ومحاولة تطويره » .

أدباؤنا في المعركة

لست اغلو اذا قلت ان ادباءنا قد تفاعلوا ايما تفاعل ، مع هذا الحدث الخطير الذي ألم بنا ، وانهم استجابوا استجابة صادقة للازمة التي مررنا بها ، فصوروها واعربوا عنها ، وعكسوها علينا ، واعانونا على وعيها ، وبوسعي التأكيد ان الانطباعات التي سجلوها عن معركتنا الراهنة ، ضد الغزاة تبدو عميقة حية ، صادقة الشعور ، قوية الاتصال ، تكاد وحدها تتميز بطابع خاص لأدب ثوري جديد ، أشد ما يكون ارتباطاً بحياتنا ، واتصالا بواقعنا . واخال ان الدوافع التي استمدوا منها وحيهم ، كانت تفرض ذاتها عليهم فرضاً ولا ندحة لهم عن استلهامها ، لانها تمس حياة امتهم في جوهرها وصميمها . ولا غرابة ان يجد شعراؤنا وكتابنا طريقهم الصحيحة ، وان يفهموا حقيقة رسالتهم ويقوموا بوظيفتهم ، ويسهموا في كفاح امتهم من اجل حياة افضل .

ولعل شاعرنا « نزار قباني » اول من استجاب للمعركة استجابة صادقة عميقة في رائعته « رسائل جندي مصري في السويس » التي تميزت بقوة العاطفة وصدقها ، وباحساس مرهف وروح ثائرة لم تختزن صور المعركة فحسب بل اختزنت اختباراتها ايضاً ، فأتت في قالب شعري جديد ، زخر بصدق التعبير وعمق الاداء ، وعنصر التوصيل ، وحسبه انه استطاع ان يعيش التجربة التي عاشها جنديا الظافر في (السويس) ثم ينتقل بنا الى « بور سعيد » ليعيش نفس التجربة التي عاشها المناضلون الاحرار ، ويعكس علينا صور بطولتهم الخارقة التي اظهروها ويرسم لنا المعركة التي دارت رحاها بين الغزاة المعتدين وبينهم ، ويعرض علينا تهاويل بطولتهم وكفاحهم وشجاعتهم ، ويبرز لنا ماحل بالغزاة من هول ورعب وفزع وانهزام ، وما انتهت اليه المعركة من نصر مبين حققه المناضلون بايمانهم ، وعزيمتهم ، وارادتهم ، وتعلقهم بحب ارضهم الطيبة .

كما اثارت المعركة ايضاً وجدان بعض شعرائنا وكتابنا ، فقصدوا القصائد، وانشأوا المقالات وعرضوا علينا الواناً من منظومهم ومنثورهم ، استطاعوا ان يعبروا فيها ما وسعهم ، عن الانطباعات التي احدثتها المعركة في ذواتهم ، وان يجلوا الصورة التي ارتسمت عنها في اذهانهم ، وقد طلع علينا الشاعر (عبد المطلب الامين) بقصيدة عن بور سعيد وهي في الحق من غرر الشعر ، ابرز فيها عمق احاسيسه ، في فيض من غنى عاطفته القومية ، وصدق تجربته الشعرية ، وقوة انفعاله ، وتأثره بجوهر المعركة ، كما اثار شعورنا ، بما

النشاط الثقافي في الوطن العربي

عرضه علينا من بطولات شعبنا ، وبما اظهره من جوانبها ، وبما صوره من الانتفاضات الحية التي زخرت بها حياتنا الجديدة إثر العدوان الغادر .

فلنستمع اليه يسهل قصيدته مشيداً ببطولة المناضلين الذين ابلوا بلاء حسناً في صراعهم مع الغزاة .

للذائدين ببور سعيد
سجد اللظى وعنا الحديد
واستسلم القدر العنيد
لما يريد ولا يريد
واستروح التاريخ عطر دمائهم يبغي المزيد

وبعد ان يندد بالغزاة المعتدين يختم قصيدته بهذه الابيات :

قد عشت اعصاباً تزمجر باللهيب وبالخمم
قد عشت آمالا تنضرها تباريح الألم
قد عشت في صخب الدماء اقضها سجن الوريد
شعبي الذي صهرته تجربة الفدا صهر الحديد
فوقته شائبة التخاذل والتواكل والقعود
وضلالة النوم العميق على كرامات الجدود
شعبي الذي عادت رسالته فداء خيرا
يستلهم التاريخ لا يجتره فلقد صحا وتحررا
يبني شوامخه الجديدة فوق ابنة بور سعيد .

ونقرأ للشاعر «انور الجندي» قصيدته « بور سعيد مقبرة الغزاة» التي عكست علينا في شعور نابض اضواء المعركة والوانها ، ولم يفتها تصوير طموحنا الذي يصنع اليوم مقاديرنا ، والذي استجبنا به للمنبهات والبواعث ، التي اكتسبنا من جرائها تغييراً جذرياً في نظرتنا الى الحياة ، وصموداً رائعاً في صد عدوان المغيرين ، وايماناً عميقاً بقدرتنا على محاربتهم ، بلحمنا المتناثر ، بدمائنا الحمراء ، بعقيدتنا العربية ، بحقدنا على المستعمرين كما يقول الشاعر : فلنستمع اليه يناجي « بور سعيد » منشداً :

يا بور سعيد وانت زغردة على شفة الخلود
وملاحم حمراء تهزأ بالعواصف والرعود
حطمت اسطول الجناة ففر من حنق الاسود
وبقيت وحدك صرخة المتمردين على القيود
يا بور سعيد فديت ارضك بالدم المتدفق
بالذائدين عن الرمال السمر ، في الوطن النتي
بالثائر العربي ، لم يرحم ولم يترفق
زحم الخطوب فكان دمدمة العذاب المطبق

اما الشاعر « عبد الباسط الصوفي » فينحو في قصيدته « امرأة من بور سعيد » منحى جديداً يغاير ما عالجه شعراؤنا ، اذ نراه ينقل الينا في صدق ومرارة ، مناجاة امرأة وليدها الذي اغتاله الغزاة بعد ان اغتالوا اباه من قبله ، عبرت فيها عن خصوبة الحقد الفائرة في قلبها على الاعداء ، وافصحت عن وقدة احاسيسها الداخلية ، وعمق مشاعرها التي لابستها في كراهية ونقمة .. فلنستمع اليه يصور لنا هذه الحالات الشعورية الطاغية العميقة ، التي استولت على الام بعد ان اذهلتها الفجيعة ، وارمض جوانبها غدر الغزاة :

خذ يا صغيري وامضغ اللعنات مات ابوك غيله
لبني مزجت به السموم ولم اكن يوماً بخيله
فمك البريء يغص ؟ خذ ثديي سارضعك البطوله
الورد ينبت شوكة ، وكذاك : نبقة الطفوله

ويختم الشاعر قصيدته بوصف استعلاء الأم الثكلى ، وتفتح احقادها على الاعداء ، فكأن المعركة قد هزتها هزاً عنيفاً ، واعادت اليها يقينها الضائع ابوطنها ، واكسبتها خاصية الصراع للذود عنه :

انا في الظلام ، اصب احقادي واغتال الدروبا
انا الطم الاقدار ، ارتشف المنون دماً وطيبا
أبني واهدم ما اشاء اصون لي وطناً حبيبا
قدر ادق بقبضتي ابوابه حتى يجيبا

محلات سركيس بوشكجيان

تعرض باسعار متهاودة اجمل وافخر تشكيلة من ساعات

باتيك فيليب و اوميغا

مشغل حديث لتصليح الساعات ، وآلة – هي الاولى من نوعها – لبضط الساعة علي الثانية

شارع رياض الصلح تلفون ٣٥٥٤١

باب ادريس تلفون ٣٢٩٢٢

LA MAISON SARKIS BUCHAKJIAN

Vons Présente la Plus riche Collection de montre

PATEK PHILIPPE ET OMEGA

Bab Ebris
Tel 23922

Rue Riad SolH
Tel 35541